تأويل ازدواجية الهوّية في رواية "ميلانين" لـ (فتحية دبش)

Interpretation of dual identity in Melanin's novel by Fathia Dabash

مرسلي رشيدة [*] / آغا عائشة [2] / حكوم مريم [3]

MORSLI RACHIDA [1] / AGHA AICHA [2] / HAKKOUM MERIEM [3]

مخبر الدراسات الصحراوية.

جامعة طاهري محمد بشار (الجزائر)

University Tahri Mohammed Bechar (Algeria)

morsli.rachida@univ-bechar.dz [1] / agha.aicha@univ-bechar.dz [2]

hakkoum.meriem@unibechar.dz[3]

تاريخ الإرسال: 2022/08/02	تاريخ القبول: 2022/12/06	تاريخ النشر: 2023/03/02

ملخص البحث

ترتبط الهوّية بالإنسان أو بالأحرى هي جزء منه، حتى عند هجرته يحملها بين أشيائه، هي عبئه، هي الوطن، هي كل شيء بالنسبة إليه، وتعدُّ فرنسا الوجهة التي يحلم بها الكثير؛ إذ شكلت الهجرة ظاهرة اجتماعية، كتب عنها الكثير من الروائيين، ولعل فتحية دبش، وهي روائية تونسية مقيمة في فرنسا، من بين الذين قدّموا رؤية أخرى بطعم العنصرية، بسبب معاناة ذوي البشرة السوداء في كلا الضفتين، واختارت "ميلانين" عنواناً موحياً لروايتها له امتداد داخل هذا الخطاب؛ ذلك أنّ ميلانين هي مادة صبغية مسئولة عن لون بشرة الإنسان، وكان تعبيراً صارخاً من المبدعة عن العنصرية. حيث شكلت خطاباً روائياً يعبر عن جيل فقد الارتباط بالوطن الأم، ولم يحسن نسج خيوط تواصله داخل فضاء مستعار يمثل المهجر، وأصبح يعيش حالة اللّاوطن، نصّ فرض علينا التوغل في أعماقه ومحاولة تأويله.

الكلمات المفتاح : تأويل؛ هجرة؛ هوّية؛ فضاء؛ رواية؛ ميلانين.

Abstract:

Identity is linked to a person, or rather is a part of him, even when he emigrates; he carries it among his things. It is his a burden, The homeland is everything for him. The northern bank, especially France which is considered the haven that most of these immigrants' dream. I s among those who gave another taste to immigration with the taste of racism due to the suffering of black-skinned people on both sides, and chose "Melanin" as title of her novel. It formed a narrative discourse that expresses a generation that lost its attachment to the motherland space and did not improve the weaving of its communication threads within the borrowed homeland, and its affiliation faded, so it felt a stranger and began to live without country. A text that forced us to interpret it

[*] مرسلي رشيدة: morsli.rachida@univ-bechar.dz

Keywords: Interpretation; Immigration; identity; space; novel; Melanin.

مقدمة:

جمعت فرنسا بين شرائح متعددة من المهاجرين؛ من ثقافات وهوّيات متعددة، ممّا جعل فئة لا يُستهان بها من سكانها يدخلون في صراع مع هذا الوافد المختلف؛ وينظرون إليه نظرة استعلاء؛ ولا يمكن إلاّ أن يكون مجرد يد عاملة رخيصة يستغلها في تشييد منشآته وحضارته، فسكن المهاجرون أحياء منعزلة عن الفرنسيين؛ وبالتالي مثّل هذا الفضاء شرخاً كبيراً قام على أساس اختلاف الهوّية واللّون. وإن كانت معاناة السود لا تقتصر على الغرب فقط، كأن السّواد وصمة عار تلحق بهم أينما حلُّوا وارتحلوا. ومما لاشك فيه أنّ هذه الهجرة كانت لها تداعياتها، سواء على المهاجر كفرد؛ أو على البلد المضيف كجماعة، مما شكّل صوراً متعددة لازدواجية الهوّية لدى الوافدين. ولدراسة هذه الرواية استعنا بالمنهج التأويلي، بغية الإجابة عن الأسئلة الآتية

- ما تأويل ازدواجية الهوية داخل هذا الخطاب الروائي ؟
- وما هي علاقة الفضاء بالهوية؟ وهل تنطفئ شمعة هوية الفرد بمجرد هجرته من وطنه الأم؟

1. بين ضفتي ميلانين:

من مفارقة هذه الرواية أن صاحبتها فضَّلت كتابتها باللغة العربية رغم أنها تعيش في فرنسا؛ وتتقن الفرنسية بل ومترجمة أيضاً، وهذا ما يميّزها عن بعض الروائيين الفرانكفونيين؛ فهي مختلفة عنهم؛ لأنّها احتفظت بلغتها الأم وبالتالي بهوّيتها؛ ذلك أنّ عدم القدرة على الكتابة باللغة الأم تعدّ تيمة تميّز أصحاب الاتجاه الفرنكوفوني؛ لذا يجد القارئ لكتاباتهم اغترابا في اللغة والهوية، فالمشاعر تميل إلى اللغة الأم لكنّ التعبير عنها يتمّ بلغة غيرها. وفتحية دبش تحاول استحضار الوطن والهوية من خلال اللغة فـــ "من لا يملك آلية التمكن من لغته لا يمكنه امتلاك ثقافة تؤكد وجوده في الحياة على مر العصور. وفقدان وعي الهوية، أو الانتماء، دليل على الارتماء في قاع ثقافة الآخر، والنيل من ثقافة الذات"[1] وهي بهذا كسرت قاعدة لغة الغالب؛ خاصة وأنها مقيمة في فرنسا، تعبيراً منها عن انتمائها لثقافتها وتشبثها بأصولها.

وإن كنّا لا نجزم حتماً أنّ كلّ من كتب باللغة الفرنسية فَقَدَ هويته؛ ذلك أنّ الكاتب الجزائري "كاتب ياسين"كان يكتب بالفرنسية مجبراً، لأنه لا يتقن غيرها، ونذكر هنا مقولته الشهيرة "إني أكتب باللّسان الفرنسي كي أقول للفرنسيين إني لست فرنسياً"[2] ولتمسكها باللغة العربية في وسط باريس دلالة على ارتباطها بهوّيتها وثقافتها "فهوية اللّغة هي قوة الثقافة وقوة للهوية"[3]، فهي في هذه الرواية عبَّرت عن آلام فئة غير معترف بها، فئةٌ فُرِضَ عليها واقعٌ لم تُعطَ فيه حقَّ الاختيار، فلا هي عاشت في أوطانها، رغم الفقر والهوان، ولا هي تساوت مع صاحب الأرض، وعاشت بسلام، فئة تعيش في أحياء مهمشة رغم أنها تقع في عاصمة أوروبية؛

عاصمة الجن والملائكة كما يحلو للبعض تسميتها، فأخذت بيد القارئ إلى هذا الفضاء المظلم من باريس، ووضعت يدها على جروح المهاجرين من عرب وأفارقة.

ولم تنس الضفة الشمالية وما حملته أيادي المهاجرين من حقائب لا تحمل أشياءهم فقط، بل هي مثقلة بأعرافهم وتقاليدهم، أو بالأحرى بهوياتهم، هذه الهوّية التي أصبحت عبئاً ثقيلاً على عاتق الأجيال المتلاحقة، وصوَّرَت للمتلقي صراعاً قائماً بين أجيال المهاجرين، من أجل الحفاظ على هذه الهوية وسط كل هذه المتناقضات، وحتى هنا في تونس لم يسلم صاحب البشرة السوداء من عنصرية؛ وإن كانت بدرجة أخف.

ورسمت فتحية دبش للقارئ لوحة بألوان سوداء؛ بسواد بشرة هذه الفئة ومعاناتها ومعاناة العرب المهاجرين أيضاً؛ الذين ازدوجت هويتهم، وتاهوا بين تقاليد آبائهم، وانفلات المجتمع الغربي، واقتربت كثيراً من هذه الشخصيات، ومن معاناتها، وكيف تعاملت كل شخصية مع هذه الهوّية، التي حَملها الآباء معهم إلى أوطان غير أوطانهم. وشكلَّت الرواية حواراً مع الغرب؛ لذا اختارت الروائية شخصيات بعينها من هذا المجتمع، تمثل وجمات نظر مختلفة اتجاه المهاجرين؛ وبالتالي تطرح إشكالية حوار الحضارات، وتقاطعها داخل المجتمع الغربي.

2. تأويل ازدواجية الهوية:

إن عنوان هذه الرواية هو أول ما يلفت انتباه القارئ ويستفزه؛ لذلك يحاول فك شفراته كأول عتبة يتحتم عليه المرور بها؛ لأنه من لم يحسن قراءتها ولم يعرف كيف يتعامل معها، فإنّه "يخطئ أبواب النص فيبقى خارجه"[4]، لذلك فضّلنا الوقوف على هذا العنوان بغية استدراجه إلى عالم التأويل؛ علَّه يبوح بمَّا خُبئ في ثناياه من مدلولات، إذا ما اعتبرنا سلفاً أن هذا النص الإبداعي برُمته عبارة عن انزياح. والكاتبة لخّصت معاناة فئة كبيرةٍ من المهاجرين من العنصرية في كلمة واحدة، وكأننا بها تقول "كفى" هذا مجرد لون يتحكم فيه هرمون صغير لا يمكن له أن يؤثّر في مصير البشر، فعنوانها يمكن أن نؤوِّله على النحو الآتي: "كفى! هذا مجرد ميلانين". وفتحية دبش اختارت هذا المصطلح العلمي عنواناً لروايتها بوصفها استعارة عن العنصرية التي يعاني منها ذوو البشرة السوداء، لأنها المادة الصبغية التي تتحكم في لون البشرة، تصنيف جاء على أساس اللّون سواء في شمال المتوسط أو في جنوبه.

إن التمييز العنصري ظاهرة عرفتها مجتمعات شتى؛ ولقد انعكس العنوان داخل ثنايا هذه الرواية بشكل جليّ فلفظة "سواد"، "سوداء" أو حتى ما يدُل على معناها مثل لفظة "الظل" و" إفريقي" "سمرة صحراوية" ...الخ عبارات طغت داخل هذه الرواية، ولا يمكن تجاهلها؛ إذ لا يكاد يخلو مقطع من هذا المتن منها **"وكأن الظل قدري والصّمت! تلك المرارة التي أورثنيها ذلك الاختلاف الذي لا أستطيع إخفاءه، بل أؤكده بأضومة ضفائر إفريقية..."**[5]، فالظل والاختلاف وضفائر إفريقية كلها عبارات لها رمزية ودلالة؛ توحي بحجم المعاناة التي تواجه هذه الشريحة بمجرد اختلافها!!! والأمثلة كثيرة داخل النص تبعث برسائل متعددة، بطريقة بسيطة ومرهفة بدون عنف أو حقد، فهي تنقل للقارئ صورة العنصرية

في فرنسا، كما تنقلها له من تونس العربية المسلمة البيضاء، كما تصفها وكأنها تتعمد بهذا الوصف الإشارة إلى تعاليم الإسلام، بأنّه لا فرق بين عربي وأعجمي، ولا أبيض، ولا أسود إلاّ بالتقوى، فهي تنبّه المسلم إلى هذه النقطة بإشارة خاطفة؛ لعلها تجد آذاناً صاغية. تنقل الروائية للمتلقي معاناة ذوي البشرة السوداء على لسان أنيسة عزوز الصحفية التونسية ذات البشرة السمراء، لكن القارئ يلمس إنسانية هادئة، وواضحة لهذه الشخصية في هذا الخطاب مثلا هنا نجدها تقول **"نسمع كلمات لا تثير حفيظة أحد، بل يستخدمها حتى السود فيما بينهم (عبيد أو وصفان شواشين) أو كلمة (عتيق) التي رغم ندرة استخدامها في الحيّز العام إلاّ أنها لا تزال مرقونة على أوراق البعض الثبوتية"**[6] تكتفي بالسرد فقط، ثم تستدرك قائلة: **"وكأن الطبيعة والميلانين وحدهما المسئولان على هذا التقسيم"**[7] تلوم هذا المجتمع وعنصريته التي لا يعترف بها، بل يمارسها دون أن يشعر بهذه الفئة؛ لدرجة أن السود أنفسهم أصبحوا يستعملون هذه الألفاظ العنصرية دون مبالاة وباستسلام تام.

نجد الروائية تستعمل تشبيهات جميلة لذوي البشرة السمراء، مستوحاة من الطبيعة، تبعث من خلالها رسالة راقية مسالمة لهذا الآخر؛ بأن كفى عنصرية فالجمال ليس مقتصرا على ذوي البشرة البيضاء **"زنبقي كان كالانتماء وليّنة كنت كوطن يعشش بخيالي، وكعود فانيليا أقشر روائحي وأبعثرها على موته ليحيا"**[8] وتبقى هذه التأويلات تحتمل الصواب والخطأ، كل قارئ ينظر إليها من وجهة نظره الخاصة، ذلك أنّ "التأويل لا حدود له، لأن كل تأويل هو مظهر من مظاهر الحقيقة ووجه من أوجه الحق"[9] والعنصرية والغربة تشتركان في عنصر التهميش؛ فكل من المغترب أو صاحب البشرة السوداء المهمّش في مجتمعه يشعر بهذا الإقصاء؛ لذا جمعت بينهما المبدعة؛ لأنهما يتشاركان نفس الفضاء، وفي كثير من الأحيان نفس المصير.

تبدأ الأحداث بمهمة أنيسة عزوز الصحفية التونسية في فرنسا، المتمثلة في إنجاز تقرير صحفي عن حي **"سان سان دونيس، محافظة لا تهمد ولا تلين، بين سياساتها اليسارية وواقعها الفقير، أصبحت وطناً جديداً داخل الوطن للفرنسيّين من أصول مهاجرة، عيّنة دقيقة لكل عمل في إطار مبحث الهوية"**[10] لقد سلمت المبدعة مهمة السرد إلى أنيسة، لأنها تمثل المرأة السمراء، وهي الأخرى كاتبة روائية وصحفية؛ وإن لم تكن مغتربة الآن لكنها أقامت في فرنسا في وقت مضى، ومرّت بهذه التجربة فتكونت رواية ميلانين من قصتين، كلاهما تحمل توقيع امرأة سمراء، وكأن فتحية دبش تبغي من وراء هذا تحرير المرأة؛ وإعطائها الحق في التعبير عن ذاتها، المرأة العربية التي وجدت نفسها مقيّدة بأغلال العادات والتقاليد حتى وهي تسكن واحدة من أكبر عواصم الغرب "باريس"، أمّا شخصية الرواية الثانية رقية امرأة سمراء تعيسة، تعاني من مشاكل عدّة بعد وفاة زوجها؛ الذي لم يكن ذلك الزوج الوفي المحب، فقد استغلها واعتبرها مجرد جسر يعبر من خلاله إلى الضفة الأخرى. رقية التي أتت إلى فرنسا وهي طفلة؛ هذه الطفلة التي عاشت متنقلة بين وطنين تعبّر عن هذا الوضع قائلة: **"نحمل هوّيتين وجنسيّتين واغترابين ونتحول بذلك إلى**

سلعتين، كبش فداء تنحره أوطاننا الموروثة مرّة وأوطاننا المكتسبة مرّة بتناوب مرهق ومقرف، وَحْدَها الحقائب وفيّة أبداً"[11] فهذا تعبير صارخ عن اغتراب هذا الجيل، وعن سخطه الكبير من وضعية اللّاوطن، وعن هوية لم يستطع تقبلها وسط فضاء غير فضائها.

وفتحية دبش تحاول الوقوف على "ثيمة الهوية" داخل روايتها؛ ذلك أنّ "الهوية الثقافية تحمي بقدر ما تحرم، وتوحد بقدر ما تطمس الفروقات وتضمن الاستمرار بقدر ما تنفي التنوع والتجدد"[12] فالروائية ترى أنّ هذا الطابو يجب تجاوزه، ومعالجته؛ خاصة وأن الآخر هنا يرفض وجودهم؛ ولا يتقبل اندماجهم، وهذا الذي دفع بالجيل الأول إلى محاولة الحفاظ على هوّيته والتمسك بها، حتى وإن رفضتها الأجيال اللّاحقة، ولا يعني هذا أن يرفض الإنسان **الآخر**، ولا يعترف به ولا يتعرف عليه؛ لكن هذا ليس على حساب تصفية هويته وطمسها "فالهوّية إطار للتعرف وأصل للانتساب من دون أن يعني ذلك الانغلاق التام، المفضي إلى نفي الآخر في الداخل وفي الخارج."[13] والرواية تسلّط الضوء على مسكوت عنه، سواء في المهجر أو حتى في الوطن الأم، تعالج حالة اللّا انتماء التي يشعر بها المهاجر، تضع كل تفاصيل حياتهم، وأحاسيسهم، إنّ الغربة جعلت منهم يقفون على الحدود، لا هم عبروها إلى الغرب، ولا هم عادوا واندمجوا في مجتمعاتهم، مشاعر ظلّت مضمرة لا يستطيع المهاجر البوح بها، واستطاعت فتحية إخراجها للعلن في هذا العمل الفني.

3. إشكالية الهوّية وتعدد الأصوات:

من أجل تأويل تعدد الأصوات داخل هذا الخطاب، كان لزّاماً علينا تفكيكه، وتتبع هذه الأصوات والوقوف على اللّامقول فيه، لتطرح الروائية للقارئ إشكالية الهوّية؛ هل هي فقط ما ورثناه أو أنها مكتسبة أيضاً، أو بصيغة أخرى هل هي ثابتة أو متحولة؟ وفي هذه الحالة يصعب الجزم بالأصوب لأن مزدوجي الجنسية ينتمون إلى الفضائين معاً، شئنا أم أبينا، فالإنسان مرتبط بمحيطه الذي يعيش فيه، وله فيه ذكريات متنوعة حزينة كانت أم سعيدة، فالمكان يلازم الإنسان ويلتصق به[14]. فشخصية "رقية" باعتبارها صوتٌ من أصوات الرواية نجدها تعاني بسبب هذا الانتماء، أو لنقل بسبب الشوائب التي ألحقها الآباء بالهوّية، كطقس الوشم مثلاً الذي يوضع على أكتاف الفتيات ونجد له دلالتين؛ الأولى هي بلوغ الفتاة، والثانية هي كبح ميولها الجنسي، وما هذا إلاّ "رمزٌ لقمع الهوّية الفردية للأنثى التي تُعامل ككائن ثانوي فقط لا كشريك مهم في سيرورة الحياة"[15]؛ لأن هذه الطقوس هي من وحي ثقافة راسخة لدى قبيلتها، ومن شروط الانتماء إلى هوّية مجموعة ما، هو الاشتراك في "وحدة اللغة والثقافة والتاريخ والأرض..."[16] شروط يجب أن يخضع لها الفرد وإلا تمّ نبذه من هذه الجماعة، فكان لزاماً على هذه الأم، وهذه الطفلة، الخضوع لهذه السلطة ؛ لأن الأعراف تقتضي ذلك، ولا مفر لهما؛ لأن الوشم – مظهر من مظاهر الثقافة- يمثل "للمرأة إشكالية خاصة، وهو معقد، نظراً لأنها لا تستطيع الهروب من الوسم مقارنة بالذكر غير الموسوم، نظراً للارتباطات المصاحبة المعقدة لنوعها مع العرق والإثنية والطبقة والنشاط

الجنسي."[17] ولا تكتمل هذه الطقوس إلاّ باختيار عريس للفتاة، ولا يكون غريباً، ومن الأحسن أن يكون ابن العم؛ الأمر الذي أحرجها **"لم يكن يسيراً أن أشرح لصديقاتي الفرنسيات أنّني موعودة لابن عم لي ولا من اليسير أن أعترف لأمي أنّ قلبي يخفق لقلب آخر فيما يقطن جسدي الموشّم بلاداً غريبة"**[18] هذا التناقض الذي عاشته رقية وغيرها من بنات الجالية العربية بشكل خاص؛ جعل هذا الارتباط بالهوّية يتلاشى بالتدريج؛ لكن مع ذلك نجد هذه الأم متمسّكة بكل ما يربطها بهويّتها، رغم بعدها عن الفضاء الذي تنتمي إليه؛ فضاء يسيطر عليها ويتحكم في قراراتها، فإننا نجدها تؤمن بهذه العادات، بل وتقدّسها أيضاً، هوّية حملتها عبر البحار في حقائبها، عكس ابنتها رقية، التي تنتمي لجيل لم يعرف هذا الوطن إلاّ زائراً سائحاً.

رقية تلك الجثّة الهامدة التي استلمت مقاليد الحكي من أنيسة؛ وتحولت فجأة من بطلة إلى ساردة، فاستخدمت الروائية تقنية الاسترجاع، لتعطي لهذه الشخصية الميّتة دوراً رئيساً في الرواية، بعد مغالطة القارئ بأنّها قد انتهت وتلاشى دورها؛ فيجدها فجأة تخاطب الروائية أنيسة (الشخصية البطلة) قائلة: **"أنت الآن مسلوبة الإرادة. أختار لك عوض أن تختاري أنت لي! فالروائي ليس إلاّ نرجسياً معوجّاً، ليس له من هاجس إلاّ التّلاعب بشخوصه..."**[19] تدخل مع أنيسة في حوار تختلف نبرته، وتزداد حدّته عن الخطاب الذي لمسناه مع أنيسة الهادئة، رقية ثائرة غاضبة ممن يدّعون أنهم قومها، أو على الأقل يشاركونها نفس الجنسية، تتحدث عن نفسها لأنها المعنية بالدرجة الأولى؛ لذلك نجدها أكثر اندفاعية في الحكي من أنيسة، لتقول لها **"نحن تونسيّون في نظركم فقط عندما نكون بالخارج وحين نعود للوطن نصبح زميقري وفي أفضل الحالات عرب فرنسا"**[20] تتكلم باسم جيل لم يعرف وطناً غير فرنسا، أمّا الوطن الأم فيسمع عنه، أو في أحسن الأحوال يقضي فيه عطلة لا تزيد عن شهر، جيل له نظرة مغايرة لفكرة الهوّية، يحتاج إلى وطن يحبه لا يشعر فيه بغربة ولا باغتراب **"نحن الغرباء في كل مكان، غرباء حتى في سجننا الضيّق... نحن أيضاً مثلكم تماماً، مدمنون على كلّ ما يأتي من هناك..."**[21] وضعية أصبحت تزداد سوءا مع تعاقب الأجيال، صعب أن لا تجد لك وطنا، والأصعب هو هذا البّين **"نحارب النسيان ونحارب التذكّر في آن. نسكن باريس لكنّنا نعرف القيروان وروائحها وقصص أزقتها وجدرانها وخرافاتها وعجائزها وتسكننا"**[22]. ترسم رقية صورة للفتاة حتى وإن كانت بعيدة عن هذا الوطن وعاداته وتقاليده العابرة للقارات، ولا مفر للفرد منها، كل هذا استرجاع للزمن، تنتقل بنا رقية عبر فضاءه وترسم الخطوط العريضة التي لا يجب أن يتجاوزها الفرد وخاصة الأنثى، لكن رغم كل هذه الحواجز فإنّ رقية ثارت ضدّ هذه الأعراف وتزوجت بسهيل الذي أحبته؛ في حين أن الوشم ظلّ جاثماً على كتفها، فالوشم وُضِع لها وهي طفلة؛ مذّكِراً إيّاها بأنها آتية من هناك، لكن هذه السلطة لم يعد لها نفوذ على رقية الشابة المتمردة ولا حتى الوشم عاد له ذلك !.

وليست شيماء صديقتها ذات الأصول الجزائرية ببعيدة عن هذه السلطة؛ إذ عانت من ضغط أكثر من رقية؛ لأنها تجاوزت خطوطها الحمراء بحبها لأنطوشا اليهودي جارهم في الحي، الذي لا يفصل بينهم سوى شارع كبير **"كان بيننا ما يشبه الهدنة نتقاسم الحيّز العام، يقيم آباؤنا من الجدران سدوداً، ونحرص على كسرها في حديقة الحيّ صغارا قبل أن نكبر ونصبح أولياء"**[23] قناعات الآباء التي تشربوها ولن يحيدوا عنها، خاصة مع اليهودي الذي يرون فيه محتلاً غاشماً؛ ولا يمكن بأي حال من الأحوال التغاضي أو التسامح مع من يتعامل معه فهي رؤية " تؤكد على عنصر الدّين أو العقيدة، كان وسيظلّ الحاجز الأهم والفاصل الحادّ بين الشعوب، والذي لن ننصهر بسببه في بوتقة واحدة إلاّ في حدود التعايش النسبي، فلن يرض عنك الآخر حتّى تتبع ملته."[24] وفي إشارة من الكاتبة - ولو بطريقة غير مباشرة - أن هذا الحاجز سوف يتجدد مع الأجيال؛ ولن ينطفئ مع موت الآباء. وشيماء كانت عقوبتها قاسية بعد أن وصلت الأمور لحد محاولة قتل أخيها من قبل والد أنطوشا، لتُبعث إلى وهران وكأن الوطن أصبح منفى لمن تخوّل له نفسه التمرد على الحاضنة الاجتماعية، أو حتّى محاولة الانتقال إلى الطرف الآخر من الشارع! لأنّ حبّ اليهودي جريمة لا تُغتفر، ويجب أن تزوَّج هناك بمن يشبهها.

لكن شيماء تتمرد على كلّ هذه الأعراف، من خلال رسالة لـ "رقية" **"باريس! سأعود إليها يوماً، أنا هنا، يتيمة ولا وجه لي..."**[25] شيماء التي لم تعرف وطناً غير باريس؛ كيف لها أن تتأقلم مع وطن لم ترتبط به إلاّ بواسطة أوراق تثبت انتماءها إليه، فهي تصف ابتعادها عن باريس كمن مات والداه وعاش يتيماً. بعد مرور عدّة سنوات تكتشف رقية بأنّ شيماء العنيدة عادت وتزوجت بأنطوشا رغم كل الظروف، وكأن الكاتبة تسلط الضوء على قضية تمرد الأبناء على الآباء وعلى عاداتهم وأعرافهم، فهذا ينطبق على أنطوشا هو الآخر إذ يقول لرقية **"قد صرت حراً من كل إرث تركه أبواي، لست أحلم بالأرض الموعودة بل بالإنسان الموعود..."**[26] هذا بالنسبة إلى الجيل الثاني.

أما الجيل الثالث فقد أعطت أنيسة لمحة خاطفة تضع القارئ في الصورة عنه، وذلك من خلال حديثها مع شاب من هذا الجيل **"حادثته بالعربية أستفسر عن قصده بالحيّ الهادئ، لكنه اعتذر بلطف لعدم فهمه لسؤالي، أخبرني أنّه من الجيل الثالث للهجرة، بحيث انقطع الخيط الرّابط بينه وبين اللغة تقريباً، ولا يملك للتواصل الضروري غير بعض الكلمات التقليدية"**[27] لقد فقد بوصلته بفقده للغة؛ لأنها هي الوسيلة الوحيدة التي تربطه بالوطن وبهويّته؛ لأن اللغة هي "الضامنة لاستمرارية المثل الإسلامية وللرسالة الإلهية، بل إنها تمثل ذاكرة تمنح للفرد عناصر الوعي للتعبير عن هويّته"[28] وهنا تشير إلى خطر ضيّاع هذا الجيل، وفكّ ارتباطه بكل ما يمت بصلة إلى وطنه وهويّته؛ هي رسالة للمهاجرين حتى يهتموا بقضية اللغة، وتعليمها لأبنائهم كي يحافظوا على أصولهم وهويّاتهم.

تقدم الكاتبة على لسان رقية محاولات الاختيار بين الضفتين، ويستقر الأمر على اختيار الضفة الغربية **"شعور غريب بأن باريس من قبل الآن لم تكن تعنيني وأنَّ سرَّتي المدفونة على بعد أميال من هنا**

لم تعد تنقصني، ولا أفتقدها، كأنها شيء ضيعته."[29] ؛ ودلالة السرَّة هنا رمزية وهي أن يبقى صاحبها مرتبطاً بمكان دفنها للأبد؛ لكن رقية هنا تحسم أمرها **"لم تعد تعنيني"**، كلمة لها مدلولها الكبير، توحي بأنها لم تعد تهتم للوطن الأم؛ وأن هذا الوطن ضاع وكفى. فهذا جيل ولد وترعرع في فرنسا كل ذكرياته مرتبطة بهذا المكان، فكيف له أن يختار غيره حتى وإن كان يحب أرض الأجداد لتقول رقية: **"لي حبّان، وطني وباريس"**[30] لقد امتزجت مشاعرهم بازدواج هوّيتهم. أمّا شيماء فقد اختارت منذ البداية باريس، وذلك لأنها رأت في الوطن الأم مجرد منفى؛ أو كما جعله أهلها لها عندما عاقبوها بإرسالها هناك، الوطن الأم الذي أصبح سجناً بدلا من أن يكون ملاذاً!!!.

4. علاقة الفضاء بالهوّية:

غالباً ما يحدث تداخل بين مصطلحي الفضاء والمكان عند استعمال النقاد العرب لهما؛ لذا أصبح أمراً لا يمكن تجاوزه، وكان لزاماً علينا التطرق لهذا الإشكال ولو بإيجاز، فمفهوم كل واحد منهما في لسان العرب جاء على النحو التالي الفضاء هو "فضا: الفضاءُ : الخالي الفارغ الواسع من الأرض (..)."[31]. أما المكان هو"المكان: الموضع، والجمع أمكنة(...) لأن العرب تقول: كن مكانك، وقم مكانك، واقعد مقعدك"مع ذلك فإن ما شاع وكثر استعماله بين الدارسين هو مصطلح "المكان"، لكن يمكن تحديد الفرق بينهما في كون أن المكان يدل على الواحد؛ أما الفضاء فهو يمثل تعدد هذه الأمكنة. وهذه "الأمكنة في الروايات غالباً ما تكون متعددة، ومتفاوتة، فإن فضاء الرواية هو الذي يلفُّها جميعاً."[32] إذن فالفضاء هو أكبر وأشمل من المكان، بل ويحتويه. وهذا ما ذهب إليه أيضاً سمر روحي الفيصل"إننا نقصد بالمكان المكان الروائي المفرد، ليس غير؛ ونقصد بالفضاء الروائي أمكنة الرواية جميعها."[33] ولعل ما يميّز الفضاء السردي عن الأماكن الواقعية هو اللّغة التي تشكله على المستوى السردي، وقد تنوعت الأماكن داخل ميلانين مشكِّلة فضائين مختلفين الأول جنوب المتوسط والثاني شماله، ويعتبر الفضاء مكوّنا مهما داخلها، طغى على باقي المكونات الأخرى؛ بل شكّل محور الحكي وأساسه، فكل الأحداث مرتبطة بأحد الفضائين أو كليهما.

أمّا الهجرة فهي مرتبطة بالفضاء حتماً؛ لأنه لا يكون لها معنى خارج إطار الفضاء فـ "الهِجْرة والهُجْرةُ: الخروج من أرض إلى أرض... هاجَرَ الرجلُ إذا فعل ذلك، وكذلك كل مُخْلٍ بمسكنه مُنْتَقِلٍ إلى قوم آخرين بِسُكْناهُ، فقد هاجر قومه."[34]؛ إذن هي مغادرة المكان سواء كانت داخلية أو خارجية، ولعل هذه الأخيرة هي الأصعب، كما أن أسبابها متعددة وإن كان طلب الرزق أوّلها. وفي ميلانين تعددت مظاهر تصوير الفضاء، تراوحت بين تونس وباريس، لكل فضاء خصوصيته التّي تميّزه عن الآخر؛ أو بالأحرى لكل واحد منها هوّيته التّي تفصله وتجعله مختلفاً.

شكّل المهاجرون حلقة الوصل بين العالمين؛ فإنك تجد في باريس أماكن وأسواقًا خاصة بالمهاجرين؛ وكأنك في وطنك "**وحده الحنين يجرُّني إلى جولة بالمغرب الصغير ببار باس، لا-قوت- دور و سوق –جان. أملأ حواسي بالأصوات وباللّغة وبالروائح**"[35] المهاجر هنا رغم بعده عن وطنه احتفظ بكل ما يمكّنه من

استحضاره؛ كالأطعمة التقليدية والألبسة وغيرها؛ لذلك يعدُّ الإبداع الروائي مرآة لغوية، يعبّر بها المبدع عن آلام مجتمعه وآماله، عن واقعه المعيش، بل عن هوّيته وصراعاتها، هي كتلة من المشاعر المتناقضة، وقد شغل عنصرا الفضاء والهجرة الكُتّاب، فكانت الهوّية هي الرابط هنا بين الفضاء والهجرة؛ لأنها قطب الرحى في إنشاء المجتمعات، وتعتبر صمام الأمان لبقائها ودوامها؛ لأنها هي فكر وسلوك تختص به جماعة عن غيرها، و"لا يوجد جنس أدبي أقدرُ على التعبير عن الهوّية وبلورتها والذّودِ عنها، أو الحنين إليها لاسترجاعها بعد استلاب، واستحضارها بعد غياب، كجنس الرواية."[36] والرّوائي بحسه المرهف، وإدراكه المنفرد للأخطار التي تحدّق بالأوطان؛ يستشرف مُسبقاً هذه الأخطار، ويدُقُ ناقوس الخطر، ويحذّر المجتمع منها، ولعل هذا ما حصل مع الروائية هنا؛ إذ نجدها عبَّرت وكتبت عن معاناة السود والمهاجرين.

ورواية ميلانين تشكل فضاء سردياً يجسّد الهجرة، فالروائية وشخوص روايتها من الفئة التي هاجرت أوطانها، تنقل للقارئ حياة أناس عانوا من بؤس الغربة، وبشاعة الاغتراب، لقد جعلت من نصّها لسان جهاز كاميرا، يصوّر لنا أحداثا عايشها المهاجرون، سواء في الضفة الجنوبية، أو في الضفة الشمالية للمتوسط؛ إذ "تحولت الرواية إلى كاميرا ترينا ما لا تلتقطه المقولات والمفاهيم، وتُسمِعنا ما يهمس به الفردُ المأزومُ في خلوته والمحْبَط في لحظات يأسه..."[37] نقلت للقارئ العربي صورة أناسٍ عانوا لسنوات في صمت، أناس كان الكل يعتقد أنّهم يعيشون في أوروبا العدالة، أوروبا حقوق الإنسان كلّها أمور أثبتت الرواية عكسها.

الفضاء داخل ميلانين متعدد على حسب الشخصيات أحياناً يشكل غربة، وأحياناً أخرى اغتراباً، وأخرى متأرجحًا بين حنين وتمرد وسخط وانتقام، كلها مشاعر يلمسها القارئ مرتبطة بالفضاء والهجرة مباشرة، أنيسة خلال حديثها في بداية السرد كانت ناقمة على إفريقيا ككل باعتبارها موطن ذوي البشرة السوداء، إذ شبهت هجرة سكان إفريقيا بأبشع صورة بكلمات تثير الاشمئزاز؛ فهي ترى في هؤلاء المهاجرين أناس منبوذون من أوطانهم، لأنهم لو وجدوا عيشة كريمة فيها لما غادروها **"بعد الربيع العربي بدأت إفريقيا تتقيأ أطفالها بلا مواربة ولا خجل تستفيد في ذلك من شناعة الفقر، ومن صمت التاريخ على جرائمها ففي بيع أطفالها قديماً للقوافل العربية ثم البواخر الغربية (...) هرباً من ذلّ الفقر والحاجة وبحثاً عن الحرية والكرامة في شمال الخير والدّفء المأمول (...) وتحوّلت البضاعة السوداء إلى بضاعة ملوّنة."**[38] عبارات لخّصت مأساة سنين كثيرة عاشها السود؛ والآن يعيشها كلُّ الأفارقة بكل ألوانهم من أجل لقمة العيش، يرمي أبناء القارة السمراء بأنفسهم في عرض المتوسط في حضن عدّو الأمس، هجرتهم فرضت عليهم التعايش مع الآخر، والتعرف إلى ثقافته؛ ولكنهم أصبحوا خائفين من أن تُطمسَ هوّيتهم فحراستهم لهذه الهوّية هو الذي أضعفها وجعلهم يفقدون الكثير لأنهم لم يدركوا أنّ "حراسة الأفكار هي مقتلها. وانغلاق الهوّيات علامة على ضعفها. أمّا الهوّية القوية والمزدهرة فهي القادرة على التوسع والانتشار."[39] وكذلك التمييز الذي تعرض له المهاجر في فرنسا على وجه خاص، جعله ينغلق على ذاته؛ لأن السلطات هناك خصّصت لهم أحياء منعزلة عن الفرنسيين؛ أحياء تسكنها أغلب الجاليات الوافدة، فتشكلت فيها العصابات والمخدرات وكل أنواع الجريمة، لقلة الأمن فيها.

تعرض أنيسة رأي زميلها في الجامعة؛ وقد أكّدت على هذا الفضاء؛ لأنه يمثل الفئة المثقفة للمجتمع أو بالأحرى واجهته الثقافية، فهو يمثل شريحة كبرى من الفرنسيين الرافضين مشاركة فضائهم مع الغير وهي صفة "ملازمة لكل جامعات العالم، فكل جامعة تُرحِبُ بما يوافق منهجها وفكرها وأيديولوجيتها وتقصي على ما يُخالفها"[40] إنّ اختيارها لهذا الفضاء لم يكن عبثاً، وإنّما له دلالته، فهي تنقل للقارئ خوف **الآخر** من المهاجرين أيضاً؛ خوف مشروع لكنه لا يبرر العنصرية أبداً **"سألني عن هويتي، قلت قادمة من جنوب المتوسط و إليه عائدة...لا يمكن إدماجهم أبداً و كلّ عرق يجب أن يحافظ على نقائه...ماذا يعني كلّ ذلك، العرق و الإدماج؟ لم يرتبك نيكولا من سؤالي و لكنّه اضطر للشرح و التعليل و هو يؤكد أنّه ليس عنصرياً بل قومياً ليس إلاّ...ذلك الخيط الرفيع الذي يرقص عليه الجميع هنا وهناك، في سباق الهوّية"**[41] نيكولا الطالب الجامعي يرفض هذا النزوح الكبير الذي شهدته فرنسا، ويصر على أن فرنسا شقراء وستظل، الكل خائف على هويته، القادم والمقيم، لكن شوارع فرنسا تقول غير ذلك لقد أصبحت حبلى بالسمرة الإفريقية، وهذا ما أزعج نيكولا وغيره من الفرنسيين. وما دوريات الشرطة في أحياء العرب والأفارقة، إلا دليل على هذا الخوف، وهذه المرة من فضاء آخر، يمثل السلطة العليا، ذلك أنّ الفرنسيين أدركوا جيداً أن الوضع اختلف عمّا كان وأن نسبة الهجرة ازدادت بشكل مقلق، وهذا ما أشار إليه إدوارد سعيد المفكر والمختص في الاستشراق؛ إذ يرى أن الهوّية الفرنسية قد تراجعت وتدهورت نتيجة اختلاط الأجناس فيها [42]؛ إذ تحاول هذه السلطة فرض سيطرتها على هذه الجالية.

وفي المقابل ترصد الروائية للمتلقي قلق أبناء هذه الجالية، بل غضبهم من هذه التصرفات وعدم تقبلهم لهذا الوضع في حين نجد آباءهم يسايرون الوضع أقل ما يوصف به هو الرضوخ والخوف، وهنا فرق واضح بين الأجيال، وربما سوف يكون أسوء مع الأجيال القادمة **"إنها بطاقة تعريف وطنية... فرنسية! مجرد ورقة مادام! لسنا فرنسيين لأننا لا نملك المواصفات الصّحيحة. اللّون عندهم هو الهوّية، ونحن هنا عرب أو سود! (...) هناك زميقري وهنا راكاي"**[43] لقد وُلِدوا بلا وطن، لم يجدوا فضاء يحتويهم ويتقبلهم، غربة قاتلة واغتراب مرير.

ولعل معاناة السود أكبر، هم يعانون من التمييز في الضفتين معاً، أنيسة عندما تسرد قصة عمّي فرج صديق والدها وكبير الحي، وتصوّر كيف كان الكلّ يحترمه باستثناء من كانت بشرتهم بيضاء، وقد جعلت طفلة صغيرة تمثل هذا الموقف طفلة بيضاء طبعاً، وكانت أمنيته الوحيدة هي أن يؤذن للصلاة **"مرتبة تاق إليها بكلّ حباله الصّوتية وحرمته إيّاها قوانين القوامة في عرف قريتنا"**[44] وهنا تحيلنا مباشرة إلى مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم "بلال" بدون تصريح، وتبين أن الدّين قد انحرف عن تعاليمه الحنيفة؛ ذلك أنّ الروائية تفضل الرمز والإيحاء على التصريح في الكثير من المواقف، بل تركت الأمر هكذا مفتوحا للقارئ ليؤوّلها؛ إلاّ أن هذه

العنصرية لا يتصف بها الجميع والدليل أحمد زوجها ذو البشرة البيضاء الذي أحبها، ولم يكن لون بشرتها عائقاً أمامه أبداً؛ بل كان يبقى لساعات طويلة تحت أشعة الشمس حتى يصبح أسمراً.

ثم تنتقل إلى حكاية صديقتها الفرنسية لورانس التّي لا تأبه للون بشرة أنيسة ولا حتى جنسيتها، فهي تحبها وتعتز بصداقتها، وهنا تنقلنا إلى حوار من نوع آخر؛ حوار يظهر الفوارق المتباينة في طريقة تفكير الآخر المختلفة عنّا تماماً. مقارنة بين فكر الغرب وفكر العرب (الشرق)، أو بالأحرى المرأة بين فضائين مختلفين **"قادرات هنّ على التحدّي والتمّرد ومستكينات نحن للعرف والعادة"**[45] المرأة عندهم حرّة طليقة لا تحكمها عادات ولا تقاليد؛ أمّا المرأة عندنا يحكمها مجتمع بكل ما فيه من أعراف وقيّم، فشتّان بين العالمين، أنيسة حرّة وتعمل وتسافر لكن هناك ضوابط في حياتها لا تتجاوزها حتى وإن ابتعدت عن مركز السلطة، فالسلطة أصبحت ذاتية الآن؛ ولا يمكن أن تفكر مثل صديقتها المتحررة بمجرد مفارقتها الفضاء الأبوي فالهوّية محمّلة بين ثنايا حقائبها.

مظاهر ارتباط الفضاء بالهوّية داخل ميلانين متعددة؛ عمدت صاحبتها إلى رصدها، رغم أنها مليئة بالتناقضات، ومشاعر هؤلاء اختلطت بحب وطن فارقوه، ووطن سكنوه، وهوّية ورثوها وأخرى مكتسبة. إذ وجدوا صعوبة في التأقلم مع الاثنين في فرنسا، عاشوا في أحياء منبوذين والتواصل مع هذا الغرب قد يكلفهم حياتهم مثل ما حدث مع الشاب "زهير" المغربي الذي أحب شقراء باريسية "ماري تيراز" وأحبته لكن الآخر (والدها) رفضه ورفض هذه العلاقة كما أن والداه كذلك رفضا هذا الارتباط **"اكتشاف جثّته غريقاً بنهر السّان ذات فجر (...)لم يتحمل إسلام الصّدمة (...) فرنسا طاحونة يا بنيتي... لا تدع ولا تذر، نحن ننفق أيامنا وأجسادنا في تشييد مجدها وبناياتها، وحفر أنفاقها قبل أن يسلّمونا قرشين...يسلمونا إلى المرارة والغربة الجديدة..."**[46] إسلام الابن الثاني لهذه العائلة ضاع هو الآخر في سجون فرنسا؛ لقد ضيّع هذان العجوزان ابنيهما في الغربة نتيجة عدم الانسجام داخل وطن لم يستطع أن يحتويهم.

تختم روايتها برسالة من زوجها حول نتائج تحاليل (أ.د.ن) محاولاً تهدئتها ويقول لها بأنها سوف يكتبان تفاصيل ذاكرة الميلانين التي سيحملها أحفادهما من بعدهما، رسالة هي الأخرى تحمل عدّة دلالات هو يحاول أن ينسيها هذا التمييز، ويبعث فيها أملاً جديداً بأن جينات الإنسان واحدة وأننا كلنا أبناء آدم عليه السلام، ورسالة أخرى هي جيل جديد أحسن من الأول، يحمل ذاكرة الميلانين، ويمجدها، ولا يجعلها عائقاً بين بني البشر خاصة وأن أحفادهما حتماً يحملون جينات الرجل الأبيض والمرأة السمراء، جينات توحدت ولا يمكن الفصل بينها أو حتى التمييز بينها.

خاتمة:

- ✓ إنّ تأويل الهوّية في هذه الرواية كشف عن هويتين: هوّية ثابتة وأخرى متحولة؛ هي ثابتة مادام الفرد مقيماً في وطنه الأصلي، يتشارك مع قومه عاداتهم وثقافتهم، والأهم يتقاسم معهم الأرض واللّغة لأنها الأقوى في الحفاظ على هذه الهوّية، أمّا الهوّية المتحولة فهي التي

تتغير، ويحاول الفرد أن يجعلها تتأقلم مع الفضاء الجديد الذي انتقل إليه، أو حتى وُلِد فيه؛ فالمهاجر لا يمكنه أن يحافظ على كل مقومات الهوّية إلاّ أنه يستطيع التمسك باللّغة، لأنها هي الرابط القوي الذي يربطه بوطنه الأم وبقوميته.

- ✓ لا يمكن الفصل بين الفضاء والهوّية بأيّ شكل من الأشكال؛ لأنها مرتبطة به أيّما ارتباط، وحتى عندما يغادر المرء فضاءه فإنه يبقى دائماً متعلقاً به؛ وإن كان هذا التعلق عن طريق ممارسات أو عادات أو لباس وبشكل أكثر تجلياً بلغةٍ تربطه بموطنه.
- ✓ أمّا المهاجرون فمهما حاولوا التنصل من هوّياتهم فإنهم لا يستطيعون ذلك، لأنها الخيط الرفيع الذي يشُدهم إلى أوطانهم وإلى جذورهم، وهناك أيضاً هذا الآخر الذي يذكّرهم بعنصريته بهذه الهوّية.
- ✓ إنَّ الخوف على الهوّية هاجس لدى الجميع سواء كان مهاجراً أو صاحب أرض، لذا يجب التعايش والانسجام لأن الفضاء هو الذي جمع بين هذه الهوّيات ولا يمكن لأيّ أحد إقصاء غيره بمجرد اختلافه عنه.

هوامش:

---

[1] عبد القادر فيدوح: تأويل المتخيل (السرد و الأنساق الثقافية)، (2019)، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع (دمشق)، ط1، ص69.

[2] عبد السلام المسدي: الهوية العربية والأمن القومي (دراسة و توثيق)، (2014)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (الدوحة)، ط1، ص 13.

[3] بدرية شامي/ حسان راشدي: الاغتراب اللغوي والهوياتي في روايتي "الحب والفانتازيا" و"بعيداً عن منزل أبي" لآسيا جبار، (2021) مجلة إشكالات في اللغة والأدب، جامعة تامنغست، المجلد10، العدد5، ص82.

[4] عبد الحق، بلعابد: عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص)، (2008)، الدار العربية للعلوم ناشرون (بيروت)، منشورات الاختلاف (الجزائر)، ط1، ص15 .

[5] فتحية دبش، ميلانين، (2019) ديوان العرب للنشر والتوزيع، (مصر)، ط2، ، ص43.

[6] فتحية دبش، ميلانين، ص68.

[7] فتحية دبش، ميلانين، ص68.

[8] فتحية دبش، ميلانين، ص85.

[9] علي حرب، التأويل والحقيقة (قراءات تأويلية في الثقافة العربية)، (2007) دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت)، ط1، ص117.

[10] فتحية دبش، ميلانين، ص40.

[11] نفسه، ص84.
[12] علي حرب، التأويل والحقيقة، ص 224.
[13] نفسه، ص83.
[14] أنظر: عبد القادر بن سالم: بنية الحكاية (في النص الروائي المغاربي الجديد)، (2013) منشورات الاختلاف، (الجزائر)، منشورات الضفاف (بيروت)، ط1، ص 114.
[15] إيمان جريدان: هوية المكان وتحولاته (قراءة في رواية طوق الحمام)، (2021)، دار الكافي للنشر والتوزيع والترجمة (الجزائر)، ط2، ، ص143/142.
[16] أحمد بعلبكي...[آخ]، تحرير وتقديم: رياض زكي قاسم، الهوية وقضاياها (في الوعي العربي المعاصر)، (2013)، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت)، ط1، ص28.
[17] جينز بروكمير، دونال كربو، تر: عبد المقصود عبد الكريم، السرد والهوية (دراسات في السيرة الذاتية والذات والثقافة)، (2015)، المركز القومي للترجمة (القاهرة)، ط1، ص 249.
[18] فتحية دبش، ميلانين، ص98.
[19] نفسه، ص80.
[20] نفسه، ص83.
[21] نفسه، ص 83.
[22] نفسه، ص 92.
[23] فتحية دبش، ميلانين، ص127.
[24] إيمان جريدان، هوية المكان وتحولاته (قراءة في رواية طوق الحمام)، ص134.
[25] فتحية دبش، ميلانين، ص117.
[26] فتحية دبش، ميلانين، ص131.
[27] نفسه، ص17.
[28] عبد القادر فيدوح، تأويل المتخيّل (السرد والأنساق الثقافية)، ص69.
[29] فتحية دبش، ميلانين، ص 124.
[30] نفسه، ص112.
[31] أبي الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري: لسان العرب، (2006)، المجلد الواحد والعشرون، دار نوبِليس (بيروت)، ط1، ، ص146.
[32] حميد لحميداني: بنية النص الأدبي(من منظور النقد الأدبي)، (1991) المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع (المغرب)، ط1، ص63.
[33] سمر روحي الفيصل: الرواية العربية البناء الرؤيا (مقاربات نقدية)، (2003)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، (دمشق)، ص102.
[34] ابن منظور، لسان العرب، ص37/36.
[35] فتحية دبش، ميلانين، ص 12.

[36] عبد الملك مرتاض: السَّرد والسَّردانية (عرض لنظريات السردانية العربية المعاصرة، وتحليلاتها لبعض نصوصها) (2019)، دار القدس العربي، ط1، (وهران)، ص283.

[37] محمد برادة: أسئلة الرواية أسئلة النقد، (1996) شركة الرابطة (المغرب)، ط1، ص22.

[38] فتحية دبش، ميلانين، ص13.

[39] علي حرب، حديث النهايات (فتوحات العولمة و مأزق الهوية)، المركز الثقافي العربي (المغرب) و(لبنان)، ط2، 2004، ص24.

[40] إيمان جريدان، هوية المكان وتحولاته، ص145.

[41] فتحية دبش، ميلانين، ص15.

[42] ينظر، إدوارد سعيد، تر: ثائر ديب: تأمُّلات حول المنفى (ومقالات أخرى)،(2007)، دار الآداب (بيروت)، ط2، ص262.

[43] فتحية دبش، ميلانين، ص 153/152.

[44] نفسه، ص158.

[45] نفسه، ص64.

[46] نفسه، ص148/149.

المصادر و المراجع:

1. فتحية دبش، ميلانين: (2019)، ديوان العرب للنشر والتوزيع (مصر)، ط2.
2. أبي الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري: لسان العرب، (2006)، المجلد الواحد والعشرون، دار نوبِليس (لبنان)، ط1،.
3. أحمد بعلبكي...[آخ]، تحرير وتقديم: رياض زكي قاسم، الهوية وقضاياها (في الوعي العربي المعاصر)، (2013)، مركز دراسات الوحدة العربية (لبنان)، ط1.
4. إدوارد سعيد، تر: ثائر ديب: تأمُّلات حول المنفى (ومقالات أخرى)1، (2007)، دار الآداب (لبنان)، ط2.
5. إيمان جريدان: هوية المكان وتحولاته (قراءة في رواية طوق الحمام)، (2001)، دار الكافي للنشر والتوزيع والترجمة (الجزائر) ط2.
6. بدرية شامي/ حسان راشدي: الاغتراب اللغوي والهوياتي في روايتي "الحب والفانتازيا" و"بعيداً عن منزل أبي" لآسيا جبار، (2021)، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، جامعة تامنغست، المجلد 10، العدد 5.
7. جينز بروكمير، دونال كربو، تر: عبد المقصود عبد الكريم: السرد والهوية (دراسات في السيرة الذاتية والذات والثقافة)، (2015)، المركز القومي للترجمة (القاهرة)، ط1،.
8. حميد لحميداني: بنية النص الأدبي(من منظور النقد الأدبي)، (1991)، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع (المغرب)، ط1.
9. عبد الحق، بلعابد: عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص)، (2008)، الدار العربية للعلوم ناشرون (بيروت)، منشورات الاختلاف (الجزائر)، ط1.

10. عبد السلام المسدي: الهوية العربية والأمن القومي (دراسة وتوثيق)، (2014)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (قطر)، ط1.
11. عبد القادر فيدوح، تأويل المتخيل (السرد والأنساق الثقافية)، (2019)، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع (دمشق) ط1.
12. أنظر: عبد القادر بن سالم: بنية الحكاية (في النص الروائي المغاربي الجديد)، (2013)، منشورات الاختلاف (الجزائر)، منشورات الضفاف (بيروت)، ط1.
13. عبد الملك مرتاض: السَّرد والسَّردانية (عرض لنظريات السردانية العربية المعاصرة، وتحليلاتها لبعض نصوصها)، (2019)، دار القدس العربي (الجزائر)، ط1.
14. علي حرب: التأويل والحقيقة (قراءات تأويلية في الثقافة العربية)، (2007)، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت)، ط1.
15. علي حرب: حديث النهايات (فتوحات العولمة ومأزق الهوية)، (2004)، المركز الثقافي العربي (المغرب) و(لبنان)، ط2.
16. سمر روحي الفيصل: الرواية العربية البناء الرؤيا (مقاربات نقدية)، (2003)، منشورات اتحاد الكتاب العرب (دمشق).
17. محمد برادة: أسئلة الرواية أسئلة النقد، (1996)، شركة الرابطة (المغرب)، ط1.